مهنة الطب عند الرومان من خلال المصادر القديمة

La pratique médicale chez les romains d'après les sources antiques

Medical practice among the Romans according to ancient sources

طالبة دكتوراه قوقام ياسمين

مخبر الآثار التراث والأركيومتر- معهد الآثار- جامعة الجزائر-2- أبو القاسم سعد الله

أ. د. عمروس فريدة

جامعة الجزائر-2- أبو القاسم سعد الله - معهد الآثار

تاريخ الإرسال: 27-04-2021 - تاريخ القبول: 29-10-2021 - تاريخ النشر: 13-06-2023

ملخص

كان الطب موجودًا منذ عصور ما قبل التاريخ استنادا المعلومات المتداولة حول وجود بعض الممارسات الطبية الأولى. فقد اشارت المصادر الكتابية والتمثيلات إلى الممارسات الطبية أو الصيدلانية، والمهنيين (الأطباء والكهنة والشامان). بمرور الوقت وتراكم التجربة والخطأ، نشأت قاعدة معرفية للجوانب العلاجية داخل المجتمعات الاولى لتتطور عبر القرون. فقد كان الطب في القديم يعتمد فقط على التشخيص. لذلك تركز على العديد من الافتراضات الخاطئة حول عمل الجسم. ولكن عند ممارسته من قبل مختصون مدربون جيدًا. فقد تكون الممارسات الطبية في ذلك الوقت فعالة. صار على طالب الطب أن يتلقى تعليما من أستاذ، استوجب مرافقته لإجراء فحوصات للمرضى من أجل اكتساب التجربة والخبرة اللازمة، كان من بينهم من كرس دراسته للتخصص في فن العلاج عن طريق التشخيص، دراسة الادوية والتخصص في الصيدلة، والبعض الآخر في الجراحة، ومن هنا ظهرت عدة تخصصات منها، طب العيون، وعلاج "أمراض النساء".

الكلمات الدالة: الطب؛ قديم؛ طبيب؛ معالج؛ مريض.

Abstract

Medicine has been practised since prehistoric times, with the earliest medical practices having reached us through written and iconographic sources. These sources referred to medical or pharmaceutical practices carried out by professionals such as doctors, priests and shamans. Over time and the accumulation of trial and error, a knowledge base developed within the early communities. Ancient Medicine was based only on diagnosis, and was therefore reliant on many wrong

assumptions about the functioning of the body. However, well-trained professionals could prove the effectiveness of their medical practices. It became necessary for medical students to receive his training from professors, who accompanied them to carry out tests on patients in order to acquire the necessary experience. Among them, many devoted their studies to specific areas. specialize in treatment and in part of surgery and others in pharmacy. Several specialties emerged, including the art of diet treatment, surgery, ophthalmology, and gynecology.

Keywords: medicine; antique; doctor; therapist; patient.

Résumé

La médecine existait déjà dès la préhistoire où les premières pratiques médicales nous aient parvenus. Les sources écrites et iconographiques faisaient référence à des pratiques médicales ou pharmaceutiques et à des professionnels (médecins, prêtres et chamans). Avec le temps et l'accumulation d'essais et d'erreurs, une base de connaissances s'est constituée au sein des premières communautés. La médecine Antique était basée uniquement sur le diagnostic. Elle était donc tributaire de nombreuses hypothèses erronées sur le fonctionnement du corps. Cependant, lorsque la médecine de l'époque antique était pratiquée par des professionnels biens formés, les pratiques médicales à ce temps-là pouvaient s'avérer efficace. Il est devenu nécessaire pour un étudiant en médecine de recevoir sa formation d'un professeur, qui l'accompagnait pour effectuer des tests sur des patients afin d'acquérir l'expérience nécessaires. Parmi eux, y a ceux qui avaient consacré leur étude à se spécialiser dans l'art du traitement par le régime et dans une partie de la chirurgie et d'autres à la pharmacie, d'où émergèrent plusieurs spécialités, dont l'ophtalmologie, et le traitement de la "gynécologie".

Mots-clés: médecine; antique; médecin; thérapeute; patient.

مقدمة

يعود تاريخ الطب إلى بداية الإنسانية، فعندما عرف الإنسان الداء عمل جاهداً لاكتشاف الدواء له والحفاظ على الصحة، سواءً بتطبيب الجروح أو الولادة أو غيرها، وكان القدامى ينسبون أسباب الأمراض في بادئ الأمر الى السحر وبعض الآلهة الشريرة، أو بعض الأمور الغير طبيعية. كانت لكل حضارة أساليبها الطبية الخاصة بها، فقد ظهرت علاجات غريبة اتبعوها القدامى في علاجهم لأهم الأمراض المنتشرة، والتي كانت في معظم الأحيان غير فعالة. ومع ذلك فقد أثرت الحضارة الإغريقية الرومانية على العالم كله بتاريخها العريق وعلمها الشاسع وكان لها نصيب كبير في تطور العلم والطب. يوجد في بعض البلدان المتقدمة كأثينا (في اليونان) مثلا، أطباء حقيقيين. الأكثر شهرة منهم كانوا مطلوبين للغاية، مارسوا بسهولة مواهبهم خارج وطنهم (مثلا في روما) وتمتعوا بمكانة كبيرة. فهل تمكن الطبيب القديم من فهم المرض وعلاجه؟

1. بدايات الممارسات الطبية والعلاجية حسب المؤرخين القدامى

كانت بداية العلاجات عبر التجربة القائمة على الخبرة والثقة لحل مشاكل الصحة. فقد أعطى لنا المؤرخ هرودوت (Hérodote) والجغرافي سترابون (Strabon) معلومات قيمة حول إجراءات تطرق اليها بعض شعوب العالم المعروفين بعلاج المرضى، وهي الطريقة البسيطة (الطريقة التجريبية "La méthode empirique")، التي تتمثل في استشارة الذين عانوا من مرض مماثل، والتعرف على العلاجات التي شفتهم. هذه الطريقة استعملت عادة لدى الشعوب الأقل تقدما في فن الطب (Germain, 1966, p. 7).

كان الحال لدى البابليون، حسب هرودوت" Hérodote": "يحضرون مرضاهم إلى مكان عام، نظراً لعدم وجود أطباء. يتقدم الناس من المريض، واللذين عانوا من نفس المرض أو رأوا أحد آخر يعاني منه، يقتربون يعطون نصائحهم والعلاج الذي شفاهم أو شفى شخص آخر. ويمنع المرور أمام المريض وعدم التحدث اليه، والاستمرار في طريقه بدون سؤاله عن مرضه. (Hérodote, 1964, p197)

وصف سترابون"Strabon "عادات البابليين، بقوله: "يعرض المرضى في تقاطع ثلاث طرق، ويطلب من المارين إذ كانوا يعرفون بعض علاجات للمرض، فلا أحد من المارة شرير بما يكفي لعدم اقتراح علاج الذي يراه نافع"(Strabon, 1867, p20).

تعددت طرق العلاجات باستخدام النباتات، فقد استفاد الرومان من الأعشاب بشكل كبير كمثال ملكة النباتات الطبية هي "laserpitium" (نوع من البقدونس الذي تم استخدامه في جميع التركيبات الصيدلانية تقريبًا) ويتم استخدامه كمساعد للهضم مفيد جدًا بعد الوجبات الوفيرة (Lyon médical, 1876, p 409)، وللتخفيف من ألم الأسنان استخدم " لب القرع المملحة" "la puple de courge salé"، تخلط مع "الأفسنتين" "l'absinthe"(Pline, 1848-1850,p 3)، أو "سائل حليبي" "suc laiteux" المستخرج من "ساق الخردل" "tige de sénevé" لعلاج تساقط الشعر(Pline, 1848-1850, p 355)، الذي كان من أكبر هموم الرومان. كان هناك العديد من المستحضرات تتكون من الزعفران "safran"، يضاف مع النبيذ، فلفل، الخل، "laserpitium وكذا روث الفئران (Fabre, 2003, p 65).

وكذا ضمادات بدائية، وبناء عليها، تم استخدام عناصر نباتية مثل الممحاة (gomme)، ورقة زنبق الماء(nénuphar)، لحاء البتولا (Ecorce de bouleau)، راتينج الأرز (Résine de cèdre)، وهذا لأن لها تأثيرات مطهرة. (Pline, 1848-1850, p 355).

وفيما يخص علاج الجروح، يذكر (G. Tsoucalas) علاج امرأة في كريت (Crète) (وهي جزيرة اغريقية)، مصابة بقرحة في إصبعها: "أمر أسكليبيوس (أي كهنة أسكليبيوس) بغسل الجرح بنبتة بنفسجية (mauve) واتخاذ صدف (coquillage) لحرقها وسحقها. بعد ذلك مزج المسحوق مع زيت الورد ووضعها على الجرح" ,2017 ,(G) Tsoucalas) (pp49-48. اما بالنسبة للعمليات الجراحية، استخدم الجراحون المسكنات مثل الأفيون (l'opium) والسكوبولامين (la scopolamine).(Di Palma, 2018, p 66)

كما ظهرت علاجات أخرى كالحجامة، والتي لا زالت مستعملة الى يومنا هذا، يفترض أنها تساعد على توازن الحالة المزاجية للجسم. عند تسخين الوعاء يصنع الفراغ الجزئي الذي يساعد التصاقه على سطح الجسم عن طريق الشفط. وقد يؤدي ذلك إلى إراحة الجلد (الحجامة الجافة) أو إزالة الدم (الحجامة المبللة) بعد تثبيته على الجروح.(Celse, 1876, p106)

2. مهنة الطبيب عند الرومان

كان معظم ممارسي الطب في البداية أطباء عامين (généraliste) ومع مرور الزمن ظهرت الاختصاصات في القرن I ميلادي، وقد ظهرت بروما عدة اختصاصات، فالأطباء الرومان انشغلوا بأن يتعاونوا ويتعارفوا قدر الإمكان من اجل تكوين الشباب المتمدرسين، حيث وجدت مدارس للطب (Collegia Medicorum). (Dachez, 2008, p 175)

اتبع الطلاب أساتذتهم خلال فحص المرضى والمجروحين في عيادات كبيرة للفقراء والمحتاجين تسمى «Valtudinaria» ونجدها بالمدن الكبرى التي تحولت فيما بعد إلى مستشفيات كبيرة. أما بالنسبة إلى مدة الدراسة رأى غاليان (Galien) أنه من اللازم أن يدرس الطالب مدة إحدى عشر سنة حتى يصبح طبيبا جيدا.(Dachez, pp.186, 177)

أعطت لنا الكتابات اللاتينية مختلف المهن الطبية التي مورست خلال الفترات القديمة، ويشار لهم بالمصطلحات: Medicus (CIL 08, 00015)، Ocularius Chirurgicus (CIL 11, 00742)، ونادرا ما نجد Medicus Auricularius ((CIL 06, 08908 (p 3891) والذي يقصد به أطباء الأنف والحنجرة.

مع تطور هذه المعارف الطبية والاختصاصات، صارت ممارسة هذه المهنة صعبة أكثر فأكثر لشخص واحد. ففيما يخص أطباء العيون كانوا يمارسون مهنتهم بعيدين عن غيرهم (الأطباء)، مما سبب افتراق بين الأطباء والجراحين، حيث كان لكل واحد نظام خاص بفئته في الممارسة، للأطباء الجزء النبيل من هذه الحرفة فهم من ينمون النظرية ويتأملون فيها، بينما يركز الجراحون على نوعية العملية وقدرات الجراح. ومع الوقت ضيع هؤلاء الأطباء التعامل مع بعض الأطباء المفكرين، ففي القرن 5 صارت شخصية الجراح أقل شأنا من الطبيب بصفة واضحة.(Celse, 1876, p16)

في بداية القرن III ميلادي تغير النظام في الإمبراطورية، مع حكم 'ألكسندر (Alexandre) الذي جهز مباني ومكتبات لتشجيع التطور وبداية التدريس في عدت مجالات كعلم التشريح، علم النباتات وعلم الجراحة. بعدها جاء 'فلنتينيوس '(Valentinus) في القرن IVميلادي حيث وضع قوانين صارمة للطلاب المعيدين. لكن وجب انتظار 'يوليوس' حتى يكون التمرين الطبي أساسيا لإصدار ترخيص بعد إجراء امتحان إجباري أمام هيئة من المحلفين المشهورين في الطب (Blondel, 2004, p 67). ولقد قسموا ممارسي الطب إلى:

1.2. أب الاسرة (Pater Familias)

هو عبارة عن طبيب غير محترف و(Empirique) (Blondel, 2004, p67) . يمارس الطب الأبوي والطب المنزلي، بحيث يقوم رب الأسرة " pater familias" بممارسة مهنته التي تعلمها من أبيه دون مغادرة المنزل، ويطبقها تجريبيًا وفقًا للقواعد التقليدية، حيث يتم الخلط في العمل بين السحر والدواء (Flambard Hérichier, 2005, p13).

2.2. عبيد يمارسون الطب والصيدلة

ينتمون إلى عائلات غنية بالمجتمع حيث يكون العبد طبيبا خاصا بالعائلة، فهو يسهر على راحتها، بينما يستغلونه في جمع المال، بحيث تعود أرباح ممارسته لمهنته مع عامة الاس إلى مالكه، رغم أن العبيد كانوا من نفس جنس ولون الملاك، كونهم إغريق استعبدوا خلال الحروب، فالفرق يكمن في المستوى الثقافي بين الملك وعبده، فقد كان الإغريق شعبا يتميز بالعلم والمعرفة ما جعل منهم أطباء وعلماء لكن رغم ذلك استغلهم الرومان (Cumston, 1931, p.p.207,209).

تم ذكر العبيد في الطب القديم كمرضى وأطباء. على الرغم من أن كتابات أبقراط (Hippocrate) تقدم معلومات قليلة نسبيًا عن التفاصيل الاجتماعية الخاصة بعلاقة الأطباء بالمرضى، إلا أن كوربوس "أبقراط" (Corpus Hippocraticum) لديه صورة واقعية إلى حد ما للممارسة الطبية في عدة أماكن خلال الفترة الكلاسيكية. كما عالج الأطباء أيضا العبيد (الرجال والنساء). فبالنسبة للأطباء الوضع الاجتماعي للمريض لا يهم.(Bujalkova, 2013, p 68)، كمثال ل نقيشة لاتينية (الكتابة رقم 01) تخص "كوينتوس فاليري"، طبيب عبيد، وضعت الكتابة من طرف زوجته "تريبوزاي" وصديقه في السجن "لوكيوس دومينتوس:

الكتابة رقم 01

Dis Manibus / Spendontis me/dici Q(uinti) Valeri / Vegeti servi / et Tryphosae / coniugi eius / L(ucius) Domitius Pris/cus amicus fecit

المصدر: AE 2014, 00173

غالباً ما يعالج الطبيب (عبيد) العبيد المرضى في المؤسسات الزراعية والحرفية والصناعية. لكن هذه المساعدة الطبية ليس لها دافع آخر غير الفائدة. في الواقع، فإن العبد يمثل قيمة، مثل الثيران والحيوانات الأليفة الأخرى. بحيث يتم شراؤها للعمل، ومن مصلحة المالك الحفاظ عليهم، لمعالجتهم في أسرع وقت ممكن. علاوة على ذلك، عندما يتم تشويه العبد، يُشّل، أو يصبح غير قادر على العمل، يتم بيعه، وقد قال كاتو (Caton L'Ancien) (Caton, 1877, p 148) في هذا الصدد:(« servum senem, servum morbosum vendat» بمعنى: "العبد قديم، عبدا مريض للبيع."

3.2. الأطباء العموميين

نظموا الأطباء العموميين خلال القرن 2م تحت حكم "أنطونيوس بيوس" الذي حدد عددهم بعشرة في المدن الكبرى وسبعة أو خمسة في المدن الأصغر بحيث يتشكلون أحيانا في (GUILDE) أي جماعة من الأطباء يرسلون من قبل الدولة لعلاج الفقراء. وفي عهد 'ثيودوس الثاني' سنة 438م سمح لهم أن يأخذوا أجر ممن يمكن الدفع لهم (Dachez, 2008, p 172).

ويوجد من أرسل في مهمات إضافية إلى جماعات خصصت لتكون في الجمناز، مثلما كان الحال بأثينا وآخرون خصصوا للمصارعين، بحيث يكون القتال غالبا مميتا ويلزم براعة في الجراحة. (Cumston, 1931 ,pp 208- 209)

4.2. الأطباء الخاصون بالشخصيات المهمة والامبراطور

هم أطباء يعملون من أجل ارفع الشخصيات والاباطرة، وكانت لهم أجور رفيعة. نملك مثال لكتابة باللغة الاغريقية (الكتابة رقم 02) تحمل اسم للطبيب "انطونيوس موسى" (Antonius Musa) أين يشكر على عمله، بحيث كان عبدا وصار طبيبا خاص ب "اغسطس" وصديقه "كيسين".(Spalikowski , 1896, p 23).

الكتابة رقم 02

[Ὁ δῆμος ὁ] Σαμίων –.–<ION Ἀν–
[τώνιον Μο]ῦσα ἰατρὸν ἀρετῆς
[ἕνεκεν καὶ εὐ]νοίας τῆς εἰς ἑαυτὸν
[Ἡ]ρηι.

[Le peuple de] Samos[74] (a honoré) le médecin [...]ius An[tonius Mu]sa[75] pour ses qualités et [son dévouement] à son égard. A Héra.

المصدر: Samama (E), 2003, Les médecins dans le monde grec: sources épigraphiques sur la naissance d'un corps médical, Librairie Droz, p292.

5.2. الأطباء العسكريون

هم الأطباء الخاصين بالمحاربين، فهم لا يشاركون في الحروب، بل يسهرون على راحة وصحة الجنود والمحاربين، يعملون على تخفيف آلامهم ومداواة جروحهم أثناء الحروب، كما يتحققون أيضا من نظافة المخيمات.(Dachez, 2008, pp. 172, 174)

3. بعض التخصصات التي انتشرت

1.3 طبيب العيون (Ocularius)

تدل نسبة الكتابات والمخلفات الأثرية الخاصة بأطباء العيون التي وصلتنا، على أن طب العيون انتشر في المدن الكبيرة أين كان بإمكان للطبيب أن يجد عددا أكبر من الزبائن (Dachez, 2008, pp. 174- 175). من بين هذه المخلفات نجد أختام الأطباء التي عثر على العديد منها ترجع إلى مختصين في طب العيون (De Cohen, 1994, pp. 24-25).

و قد ذكر لنا سلس في كتابه عن حجر باللون رمادي-أخضر (الشكل A) (الصورة رقم 01)، مؤرخ بالقرن 3 م، الشكل مربع له 31 ملليمتر من كل جانب على 9مم في السمك، يعتبر ختم لطبيب عيون، ويحمل على حوافه نقوش وكتابات (Celse, 1876, Planche IV).

الصورة رقم 01: ختم مطبوع عليه اسماء لقطرات العين (أدوية)

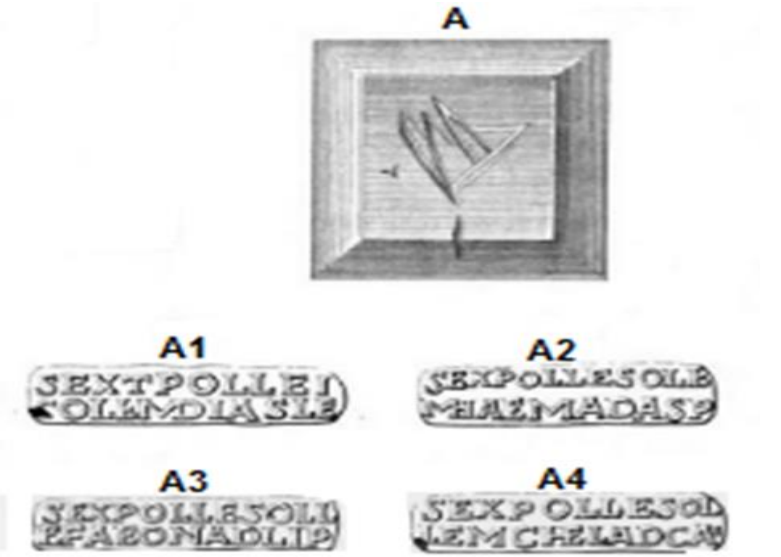

المصدر: Celse (A.C), Traité de médecine, Tr; A. Védrènes, Ed; G. Masson, 1876, Planche IV.

A1: *Sexsti Pollenni Solemnis dialepidos* : قطرات العين "dialepidos " ل سكستوس بوليني سوليمنيس.

A2: *Sexsti Pollenni Solemnis ad aspiritudum*: قطرات العين "heamatinum" ل سكستوس بوليني سوليمنيس، ضد تحبيب الجفن (granulation palbébrale).

A3: *Sexsti Pollenni Solemnis faeon ad lippitudinem* : قطرات العين بنية ل سكستوس بوليني سوليمنيس، ضد التهاب العينين (ophtalmie).

A4: *Sexsti Pollenni Solemnis chelidonium ad caliginem*: قطرات العين من نبتة "كلندين" (chélidoine)، ل سكستوس بوليني سوليمنيس، ضد سواد البصر (l'obscurcissement de la vue).

أخذوا الذين مارسوا هذه المهنة لقب "Medicus Ocularius"(CIL 08, 21105) ، كمثال نجد نقيشة (الكتابة رقم 03) عثرت بمقاطعة موريطانيا القيصرية ب"شرشال":

الكتابة رقم 03

C(aius) Terentius Demo/sthenes hic situs est / medicus ocular(ius)

المصدر: CIL 08, 21105

حسب الكتابات اللاتينية، كان معظم أطباء العيون أحرار (affranchis) "libertus ") ، كمثال نقيشة عثرت ب"بولونيا" (Bologna) بايطاليا بمعنى: الى الآلهة مان، ماركوس لاتينوس هيرمس، حرر من قبل ماركي، طبيب عيون، عاش 40سنة:

الكتابة رقم 04

Dis Manibus / M(arcus) Latinius M(arci) l(ibertus) / medicus / ocularius / Hermes vixit annos / XXXX

المصدر: CIL 11, 00742

2.3. الجراحون

كانت الجراحة دائما جزء من الطب. فالعملية الجراحية فريدة من نوعها: فهي تتضمن التدخل اليدوي، وتسمى بالإغريقية: (Cheir: اليد، Ergon: العمل)، تكون تحت مسؤولية رجل واحد. ويمكن أن يتبع هذه العملية عواقب لا يمكن السيطرة عليها. فالغرض منها هو تحسين الحالة الصحية للمريض. (Kenessi, 2006, pp.24.25.) من خلال كل ما ذكره الكتاب القدامى عن الطب والجراحة توضح لدينا مدى تطور هذا المجال كما صار للجراح أوصاف وشروط لممارسة مهنته وحسب سلس (Celse) الذي أعطى لنا صورة عن الجراح المتميز والمثالي قائلا:

"يجب أن يكون الجراح شابًا، أو على الأقل قريبًا من الشباب؛ يجب أن يكون عنده يد قوية، ثابتة، لا يرتعد أبدا؛ اليسار ليس أقل مهارة من اليمين؛ المنظر الحاد والثاقب، الروح جريئة، القلب رحيم بما فيه الكفاية ليريد علاج مريضه، ولكن ليس لدرجة وضع، تحت عاطفة صرخاته، أكثر تسرعًا من الظرف الملتزم عليه، أو التقليل من إعادة التأكيد على أن الحالة لا تتطلب ذلك"(Celse, 1876, p462).

النص الأصلي

«Esse autem chirurgus debet adulescens aut certe adulescentiae, 1935, propior; manu strenua, stabili, nec umquam intremescente, eaque non minus sinistra quam dextra promptus; acie oculorum acri clarique; animo intrepidus; misericors sic, ut sanari velit eum, quem accepit, non ut clamore eius motus vel magis quam res desiderat properet, vel minus quam necesse est secet; sed perinde

faciat omnia, ac si nullus ex vagitibus alterius adfectus oriatur.».(Celsep 296)

بالنظر إلى قلة الأدوات، نفهم لماذا لم تكن الجراحة موضوعًا شائعًا في تاريخ الطب، ربما لأن المرء يحتاج إلى معدة قوية للعمل. (Dachez, 2008, pp. 172, 174)

3.3. الصيدلاني:

يحمل التجار في الصيدلة عدة أسماء، منهم:' فارماكوبولا (Pharmacopoles, 2006, p20) « Pharmacopolae »أ« Migmatopolae » (Cumston,1988, p 173)، و« Herbarii » أي جامعي الأعشاب، فهؤلاء يتاجرون الأدوية البسيطة والفرق بينهم كالفرق بين من نسميهم عطارين حاليا (بائعي الأعشاب) والصيدلاني. (Hippocrate, 1851, p 183)

1.3.3 العشاب (herbarii /rhizotome)

المتدخل الأول في سلسلة الصيدلة هو "*rhizotome*"، أي "قاطع الجذور". هذه الممارسة تؤول في المجتمعات القديمة، إلى النساء المسنات اللواتي يلتقطن النباتات البسيطة، ثم يمررنها إلى يد المعالجين أي "الأطباء". أتباعه يشكلون، ربما في القرن الخامس، شركة منفصلة، ذكرها ثيوفراستوس (Théophraste) حوالي 370-287) ثم "Dioscoride" (القرن 1) واللاتيني (Pline) يسمونهم *herbarii*. نشاطاتهم تكون دقيقة، بحيث يحترمون قواعد دقيقة للغاية للحفاظ على أقصى قدر من فعالية النباتات(Collard, Samama,2006, 10.)

2.3.3. بائع العلاجات والعقاقير (Pharmacopole)

كانوا بائعو العلاجات يشكلون في القديم جسمًا مختلفًا عن الأول، كان يدعى بهذا الاسم كل من يبيع الأدوية (marchand de remèdes)، فإن "Pharmacopole " لا يجهزها بنفسه، خاصة تلك التي نطلق عليها الآن اسم "دجالين" (Charlatans)، بحيث يملك متجر يبيع فيه كل أنواع الأدوية والسموم، وفي بعض الأحيان يكون متنقل (ambulant) (Encyclopédie, 1780, p 580)

4. المرأة والطب

شكلت الأنشطة الطبية النسائية، ثلاث مهن في العالم اليوناني-الروماني، وهن: " medica, l'obstetrix et la nutrix" (الطبيبة، طبيبة التوليد، والحاضنة)، حيث تمكنت النساء بممارسة مهنة الطب وفقا للظروف. هذه الأنشطة الثلاثة كلها قريبة من دورة

حياة المرأة، على الرغم من أن "الطبيبة" تقدم خدماتها لمرضاها في كثير من الأحيان دون تمييز في الجنس (سواءً امرأة أو رجل). وفي معظم الحالات التي تفتقر إلى التدريب أو التعليم الرسمي، تجمع النساء في هذه المهن معارف عملية تستند إلى الملاحظة والخبرة على مر الزمن. (Dimopoulou, 1999, p274)

تشير المصادر الكتابية القديمة إلى أسماء العديد من النساء-الأطباء اللواتي مارسن الطب في العالمين اليوناني والروماني، كمثال منها نقيشة نحتت عليها صورة للطبيبة تحمل كتابة لاتينية (الصورة رقم 02)] (CIL XIII, 4334) medica / Sa[c]/ini fil(ia):

الصورة رقم 02: نقيشة منحوتة عليها صورة لطبيبة

المصدر: http://db.edcs.eu/epigr/bilder.php?bild=$CIL_13_04334.jpg;$med-47.jpg&nr=1

كمثال أخر نجد الطبيبة: " Antiochis" من تيلوس (Tlos)، في ليكيا (Lycie) بتركيا، طبيبة وصيدلية مذكورة في ناقشة على تمثال-100 .c) 595 ,doc .Lykia ,II 1-3 TAM) ((.50 av ، لها من القرن الثاني الميلادي، هي مؤلفة " Syntagologeion " (و الذي يعني بالإغريقية 'وصفات طبية') ذكرها جالين، عالجت مرضاها بدواء لأمراض الكبد.(Baudouin, 1901, p 56) .

يذكر جالين في نفس الوقت أن الطبيبة "Xanite" كتبت كتباً (ضائعة) عن الأمراض الجلدية والجنسية، تماماً مثل "Samithra" التي وضعت كريم مصنوع من الطين لأمراض الجلد. يتحدث جالين أيضاً عن أوريجينيا (Origénia)، وهي أيضاً طبيبة في علم العقاقير والأدوية (pharmacologie)، الذي كان دواءها ضد الإسهال مشهورا. (Lipinska, 1900, p58)

كشفت بحوث تبين انه خلال القرن 1م وجود امرأة اسمها " مترودورا""Métrodora" التي مارست الطب وكان هذا استثنائيا لأن الطب كان ممنوع على النساء في تلك الفترة (Lipinska, 1900, p66)، وقد عثرت نقيشة لاتينية (الكتابة رقم 05) وضعت لها من طرف زوجها الطبيب:

الكتابة رقم 05

D(is) M(anibus)] / [...]ae Metro[dorae] / Antioch(ensis) / Timotheus me[dicus(?) coniugi et sibi et posterisq(ue) eorum/ ...] o collactio su[o] a mammae et ma[..../...] / fecit

المصدر: AE 1946, 00142.

غالباً ما يتم الخلط بين دور القابلات وبين دور الطبيبات كما هو مبين في المصطلحات المستعملة في الكتابات اللاتينية. نشاط القابلات هو بالتأكيد واحدة من أقدم المهن وأكثرها انتشارا في العالم القديم. كل ولادة يفترض وجود امرأة ومساعدة لديها الخبرة، وقد تم تولى دور القابلة في جميع المنازل سواء من قبل الجدة أو من قبل امرأة لديها خبرة في الولادات. ويسمى هذا الاختصاص في الولادة عموما التوليد "AE 1980,) obstetrix ou opstetrix (AE 2005, 00328)"00936) باللاتينية، والتي تعني حرفيا "الشخص الذي يقف في الأمام (التوليد لاستلام الطفل)(Dimopoulou, 1999, p275) ، كما نجد المصطلح "iatromea" (CIL VI. 9478) في بعض من النقيشات (AE 2005, 00328) ، (AE 1980, 00936).

أما الحاضنة والمرضعة «nutrix"(CIL 08, 13191) ، فتعتبر امرأة أنجبت في الوقت الذي يسبق ميلاد الطفل الذي تتولى مسئوليته، وتتعهد بإطعامه بحليبها، وأيضاً لمنحه كل الرعاية اللازمة للرضيع، فهي مساعد طبي لحديث الولادة منذ ولادته.

نجد كتابة واحدة في إفريقيا البروقنصلية بالضبط في قرطاجة تحمل مصطلح "nutrix":

الكتابة رقم 06

«] (Ge]llia En / nutrix / vixit an(nos »

المصدر: CIL 08, 13191

5. مكانة الطبيب في المجتمع الروماني

لعدة قرون، لم يكن للرومان سوى علاقات عرضية مع اليونان والدول الأخرى التي تمتلك حضارة أكثر تقدما. كانوا يعيشون في البلاد ويزرعون الأرض بأيديهم. فالموارد لم تكن كافية لممارسة مهنة طبية مجانية، فلم يجد أولئك الذين يمارسونها في ظل هذه الظروف وسيلة لمعيشة ثرية (Blondel, 2004, p80).

كان العديد من الأطباء لا يُعرفون إلا باسمهم والكنية "*medicus*". فقد كانوا يعيشون بشكل متواضع في مهنة غير معترف بها. فالأطباء في البلدات الصغيرة ليسوا أغنياء، لكنهم أفضل حالا من غالبية السكان، علاوة على ذلك، يمكنهم تحمل مصاريف شاهد منحوت ومحفور. (Michel, 2018, p13)

أما الأطباء العامون أو الأطباء المهنيين فكانوا يحملون وظائف رسمية في مجتمعات كبيرة. في قرطبة، على سبيل المثال، هناك طبيب في خدمة جميع المستوطنين في المدينة، أو طبيب يعمل في شركة تعدين النحاس. أما في مدن الإمبراطورية، عيّن المجلس البلدي أطباء مدنيين، لكن بما أنهم استفادوا من حصانات مختلفة، بما في ذلك سكن القوات (le logement des troupes)، زاد عددهم عن الحد، فقام أنطونينوس (Antonin-le-Pieux) بتحديد عددهم الى 5 أو 7 أو 10 لكل مدينة وفقًا لرتبها وحجمها.(Michel, 2018, p13)

أخيراً، في المرتبة العليا نجد الأطباء الأغنياء جداً. على وجه الخصوص كانوا الأطباء الإمبرياليين الذين اهتموا بالإمبراطور وأقاربه وأعضاء مجلس الشيوخ الرئيسيين والمحكمة. فالوصول المباشر إلى الإمبراطور يعني الهيبة والثروة (Michel, 2018, p13).

كانوا الأطباء الأوائل في روما عبيد. هذه الحالة من العبودية ليس من المرجح بأي حال من الأحوال أن تعطي الاعتبار لأولئك الذين يمارسون فن الشفاء. (Michel, 2018, p13)

علاوة على ذلك، فحسب بعض المؤرخين، فأن الرومان لا يحترمون الحياة البشرية، وإذا جاز التعبير، لا يوجد تعاطف للمعاناة والمآسي: هذا يفسر لماذا فقدت الدولة الاهتمام بمهنة الطب لعدة قرون ولم يفعلوا شيئا للتعرف عليها وتنظيمها. فمن الواضح أن الأشخاص الذين يقتلون مجموعة من المخلوقات البشرية في فظائع السيرك من أجل سعادتهم لا يمكن أن يكون لديهم إحساس متطور للعمل الخيري واهتمام خاص بفن إنقاذ حياة إنسان.

إنه لهذا الوضع المدقع والخبث في نظر الرومان أنه من الطبيعي والمشروع أن ينسب الازدراء العام لهذا الشعب لمهنة الطب ولأولئك الذين يمارسونه؛ ومعرفة هذا الموقف، يمكننا فهم كلمات بلين (Pline) بشكل أفضل:

«*Malgré sa haute utilité, la médecine est la seule des sciences grecques qui n'ait pas été exercée par les Romains* ».(Giuseppe, 1984, p 100)

بمعنى: "على الرغم من فائدتها العالية، إلا أن الطب هو العلم الوحيد من العلوم اليونانية التي لم يمارسها الرومان".

كان الطبيب العلمي -دائمًا من أصل يوناني -يتم تقديمه في كل مكان في المنازل كما في القصور، في ورشات العمل وحتى في الثكنات.(Blondel, 2004, p82)

وقد جرى تدريجيا تعديل هذه الحالة مع خضوع المجتمع نفسه للتغييرات التي طرأت على كل من نشاطه الداخلي والأحداث الخارجية. بالفعل أراد شيشرون (Cicéron) الفصل بين المهن الليبرالية والمهن التعبدية. حتى أنه ميز المهن المستفادة، في المرتبة الأولى التي وضع فيها الطب، "(Cicéron, 1992, p 247) وافتخر هو نفسه بأنه صديق للطبيب الكبير *Asclépiade*".

مع هذا كان الرومان يلجؤون الى أقرب طبيب إلى منزلهم، أو الأكثر شهرة، أو، في بعض الأحيان، إلى طبيب الأسرة: " إلى العلم المتساوي، يكون الطبيب أكثر فاعلية إذا كان صديقاً أكثر مما لو كان أجنبياً "

«...à science égale, le médecin est plus efficace s'il est un ami que s'il est un étranger» (Celse, 1995, p74).

ويدعم "Galien" الحاجة إلى طبيب العائلة: " شدة المرض متناسبة مع تغير الحالة الطبيعية. ومع ذلك، فإن درجة هذا التغيير لا يمكن تقديرها إلا من قبل الشخص الذي لديه معرفة كاملة بالحالة الطبيعية للمريض "

«La gravité d'une maladie est proportionnée à l'altération de l'état normal. Or, le degré de cette altération n'est appréciable que par celui qui a une connaissance parfaite de l'état normal du patient» (Galien,2003, p 707).

1.5. مرسوم يوليوس قيصر

ظلت الممارسة الطبية عند الرومان مهملة ولم يعطى لها أي اهمية من الجانب الاجتماعي والإداري، لأن الحكومة الجمهورية اعتقدت ان بإمكانها أن تتخلى عن خدماتها. لكن مع تطور الفتوحات التي جذبت الى المدينة قوة وثروات العالم القديم، وبتمركز الحضارة القديمة واستقرارها في روما، زادت الاحتياجات والضروريات الاجتماعية التي ألهمت يوليوس قيصر بإصدار مرسوم لمنح الأطباء "حق المواطنة". (Blondel , 2004, p83)

من هذا المرسوم، يزيد عدد الأطباء إلى حد كبير، عندما أصبح الطبيب مواطن روماني، كان مطلوب أكثر، كما عرض على الأسر الكبيرة، مع وضع "الصديق" (statut d'ami).

بعد مرسوم يوليوس قيصر، تضاعف عدد الأطباء في روما: معظمهم جاءوا من المدارس اليونانية أو المصرية، واحضروا إلى روما الطب العلمي، كما أتى البعض من المدارس الإسبانية أو الجرمانية. بالطبع، كان هناك أيضا أطباء من أصل روماني.

مارس جميع الأطباء مهنتهم بحرية: خلال الجمهورية وبداية الإمبراطورية، لم يكن هناك موظفون مدنيون: كل مواطن يستشير الطبيب الذي يختاره. وبعض الأطباء، الأكثر ذكاء وشهرة، كان لديهم زبائن كثيرون، ويحققون مكاسب ضخمة. في نفس الوقت، يمارسون الطب والجراحة. سُمي معظم الأطباء المشهورين من قبل العائلات الكبيرة وحتى من قبل الأباطرة. وغالبا ما تزين مقابرهم بصورهم وهم أغنياء.

خاتمة

فالأخير، فقد كان يمكن لأي شخص أن يعلن عن نفسه طبيبًا، بعد إتباع تدريب مهني بسيط مع طبيب. إذ كانت الجمعيات مراكز للتعلم، مثل مدارس Cos أو Cnide وAsclepiades. فسمات الأطباء الأولى المشابهة لتلك الخاصة بأكثر الشخصيات شهرة في العصور القديمة. أول هؤلاء كان أبقراط، وهو نفسه أحد أفراد أسرة الأطباء الذين ترددوا على أخوة أسكلبيديس في كوس، فالأطباء القدامى غالبا ما كانوا ينقلون المعرفة والعلم من الأب إلى الابن، فقد كانت للمهنة خاصية وراثية.

أما عند الرومان القدامى، فكان ممارس الطب مهجوراً لنفسه، ولعفويته الخاصة، لمبادرته الفردية بأكملها، لمصلحة المجتمع؛ أنفق نشاطه فقط في العلاقات بين القطاعين العام والخاص، من الطبيب إلى العميل، دون أن تهتم الدولة الرومانية به كطبيب.

ونتيجة لذلك، لا يمكن أن يكون لهذا النشاط أي غرض آخر غير الربح. فقد كان الأطباء لا يهتمون بأي شكل من الأشكال بكمال العلم أو كرامة الفن، التي هي، إلى جانب حالتهم من الغرباء، المحررين أو العبيد، سبب آخر لسمعتهم.

قائمة المصادروالمراجع

1. André J. M., 2006. *La médecine à Rome*, Tallandier.
2. Anne Marie Flambard Hérichier, 2005. *Médecine et société de l'antiquité romaine à nos jours*, éd. Publications de l'université de Rouen et du Havre.
3. Baudouin M., 1901. *Les femmes médecins : étude de psychologie sociale internationale*, éd. Institut International Bibliographie, Paris.
4. Blondel K., 2004. *La relation entre la femme et le médecin dans la Rome antique*, thèse pour obtenir le grade de Docteur en Médecine.
5. Bujalkova M., 2013. *Sklaven in der Antiken Medizin*, Graeco-Latina Brunensia 18.
6. Caton, 1877. De re rustica,Tome II.
7. Celse A. C., 1935. *De Medicina*, Liber VII, ed; Loeb Classical Library.
8. Celse, 1995. *De la médecine.* LXXVI, texte trad. par Serbat G., les belles lettres, Paris.
9. Celse, 1876. *Traité de la médecine de Aulus Cornelius Celsus*, traduction nouvelle; avec texte en latin par Masson.G, éd. Libraire de l'Académie de Médecine, Paris.
10. Cicéron, 1992. *De la Divination*, texte trad. Et commenté par Freyburger G. et Scheid1, les belles lettres, Paris.
11. Collard F. et Samama E., 2006. *Pharmacopole et apothicaire : les pharmaciens de l'antiquité au grand siècle*, l'Harmattan, Paris.
12. Cumston G.C.H, 1931. *Histoire de la médecine du temps des pharaon au XVIIIe siècle*, traduit par Dispan de Floran, Paris.
13. Cumston C. G., 1988. *An introduction to the history of medicine from the time of the pharaohs to the end of the XVIIIth century*, éd. Dorset Press.
14. Dachez R., 2008. *Histoire de la médecine de l'antiquité au XXème* siècle, Paris.
15. De Cohen A.S., 1994. *L'œil dans l'Antiquité Romaine: les cachets d'Oculistes, des ordonnances gravées dans la pierre*, Richbourg.
16. Dimopoulou A., 1999. *Medica, Obstetrix, Nutrix: les femmes dans les métiers médicaux et paramédicaux dans l'antiquité Grecque et romaine*, *Saitadi,* 49.
17. Dina Bacalexi, 2005. Responsabilités féminines: sages-femmes, nourrices et mères chez quelques médecins de l'Antiquité et de la Renaissance, *Gesnerus*, Schwabe Verlag Basel, 62, pp.5-32.
18. Di Palma S., 2018. *L'émergence de la propriété intellectuelle*, éd. Publibook, France.

19. *Encyclopédie ou dictionnaire raisonné des sciences, des arts et des métiers*, 1780. par une société de gens de lettres, tome 25, Pharmacopole.
20. Fabre A.J., 2003. *Mythologie et plantes médicinales de l'Antiquité, Histoire* Des Sciences Médicales, Tome XXXVII, n°1.
21. Flambard Hérichier A. M., 2005. *Médecine et Société de l'antiquité romaine à nos jours*, éd. Publications de l'université de Rouen Et Du Havre.
22. Galien, 2003. Œuvres anatomiques, physiologiques et médicales, XVI, 2 vol. Texte trad. par C. Daremberg, Paris.
23. Germaine A., 1966. Médecine et Géographie dans l'antiquité Gréco-romaine, Bulletin n°65, *«Géographie Tome 4 »* Ed ; Les Belles Lettres, l'Université du Michigan.
24. Giuseppe P., 1984. *La médecine romaine: l'art d'Esculape dans la Rome antique*, éd. R. Dacosta.
25. Hérodote, 1964. *Enquête*, éd. Gallimard, Livre I.
26. Hippocrate, 1851. *Œuvres complètes d'Hippocrate*, éd. Bailliere, Londres.
27. Joseph -François Carrère, M., 1776. *Bibliothèque littéraire, historique et critique de la médecine ancienne et moderne*, volume 1, Paris.
28. Kenessi C., 2006. *La chirurgie des civilisations disparue*, mémoire de l'Académie de chirurgie, Paris.
29. Lipinska M., 1900, *Histoire des femmes médecins depuis l'antiquité jusqu'à nos jours*, éd. Librairie G. & Jacques C., Paris.
30. *Lyon médical*, 1876. Volume 21, Médipharly.
31. Michel G., 2018. *Médecins et guérisseurs à Rome et dans l'Occident romain*, académie des sciences et lettres de Montpellier, vol. 49.
32. Pharmacopoles et apothicaires, 2006. *Les pharmaciens" de l'Antiquité au Grand Siècle,* éd. Le Harmattan.
33. Pline, 1848-1850. *Histoire naturelle II*, Livre XX, Texte français, éd. d'Émile Littré, Paris, Durocher.
34. Pline, 1848-1850. *Histoire naturelle VII*, Livre XX, Texte français, éd. d'Émile Littré, Paris: Durocher.
35. Pline A., 1848-1850. *Histoire Naturelle, livres XXIX*, Texte trad. par André Beaujeu J.; Ernout A., De ST-Denise, 1947-74. Ed ; Les Belles Lettres, Paris.
36. Samama E., 2003. Les médecins dans le monde Grec: sources épigraphiques sur la naissance d'un corps médical, Librairie Droz.
37. Spalikowski E., 1896. *Antonius Musa et l'hydrothérapie froide à Rome*, Paris.
38. Strabon, 1867. Géographie, XVI, trad. Amédée Tardieu.
39. Tsoucalas G., 2017. *Asclépios, Le protecteur* de l'art médical, éditions Saint George, Volos.